مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2709-0302 (online)
ISSN: 2617-5908 (print)

تفسير القرآن بالسنة في تفسير الحافظ ابن كثير
دراسة تأصيلية تطبيقية(*)

الباحثة/ نورة محمد صالح القحطاني
طالبة دراسات عليا - دكتوراه
جامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل- السعودية

*) تاريخ تسليم البحث 2/11/2024 تاريخ قبوله للنشر 12/12/2024
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

تفسير القرآن بالسنة في تفسير الحافظ ابن كثير
دراسة تأصيلية تطبيقية

الباحثة/ نورة محمد صالح القحطاني
طالبة دراسات عليا - دكتوراه
جامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل- السعودية

الملخص

موضوع البحث: تفسير القرآن بالسنة في تفسير الحافظ ابن كثير دراسة تأصيلية تطبيقية.

ويهدف هذا البحث لعدة أمور منها: إبراز مكانة السُّنَّة النبوية في تفسير القرآن، ومدى اعتماد المفسرين عليها، والاهتمام بالجانب التأصيلي والتطبيقي لتفسير القرآن بالسُّنَّة.

ومن أهم النتائج: تميز المنهج النبوي في بيان القرآن البيان بالقول والفعل والتقرير، وذلك لتوضيح مشكل، أو بيان مجمل، أو تخصيص عام، أو تقيد مطلق، أو بيان معنى لفظ، أو توضيح مبهم وغير ذلك.

وأن القدر الوارد عن النبي ﷺ من التفسير النبوي المباشر قليلٌ جدًّا، والأصل في التفسير بالسُّنة غير المباشر أنه باجتهاد المفسِّر، وما يستفيده المفسرون من السُّنّة في تفاسيرهم لا يلزم منه أن يكون من باب التفسير، بل قد يكون زائد عن هذا الحد.

الكلمات المفتاحية: القرآن، تفسير، السنة، ابن كثير.

Interpretation of the Qur'an by the Sunnah in the Interpretation of Al-Hafiz Ibn Kathir: An Original and Applied Study

Researcher/ NORAH MOHAMMED ALQAHTANI
Postgraduate Student - PhD
Imam Abdulrahman bin Faisal University - Saudi Arabia

Abstract

Research topic: Interpretation of the Qur'an by the Sunnah in the interpretation of Al-Hafiz Ibn Kathir, an original and applied study.

This research aims for several things, including: highlighting the status of the Prophetic Sunnah in interpreting the Qur'an, the extent to which interpreters rely on it, and paying attention to the original and applied aspect of interpreting the Qur'an by the Sunnah.

Among the most important results: The Prophetic approach in explaining the Qur'an is distinguished by explanation through words, actions, and reports, in order to clarify a problem, or explain a general statement, or specify a general statement, or restrict an absolute statement, or explain the meaning of a word, or clarify an ambiguous statement, and so on.

And that the amount of direct prophetic interpretation reported from the Prophet (peace and blessings of God be upon him) is very little, and the origin of interpretation by the indirect Sunnah is that it is by the interpreter's own effort, and what interpreters benefit from the Sunnah in their interpretations does not necessarily have to be an interpretation, but rather it may be more than this limit.

Keywords: Quran, Interpretation, Sunnah, Ibn Kathir.

مقدمة البحث:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكِتابَ، وجعله أجلَّ الكتب قدْرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسولهﷺ.

أمَّا بعد:

فإنَّ تفسير القرآن الكريم من أعظم العلوم شأنًا، وأرفعها قدرًا، وأشرفها موضوعًا وغرضًا، فقد جعله الله كتاب الناس جميعًا على امتداد الزمان، فقد أرسل الله رسوله، وأنزل معه الكتاب، وأمر ببيانه للناس، فقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤).

والسُّنَّة مرجعٌ في فهْم القرآن، قال رسول الله ﷺ: "ألا إني أُوتِيتُ القرآنَ ومثله معهُ"(١)، يعني السُّنَّة، فأوتي الكتاب وحيًا يُتلَى، وأُوتِيَ من البيان مثله، وأذنَ له أن يُبيّن ما في الكتاب.

وبناءً على ذلك عزمت على دراسة موضوعٍ يتعلق بتفسير القرآن بالسُّنَّة من الناحية التأصيلية التطبيقية، ووقع الاختيار على "تفسير القرآن بالسنة في تفسير الحافظ ابن كثير".

أهمية الموضوع:

١- أنَّ السُّنَّة شارحةٌ للقرآن مبينةٌ له، قال ابن تيمية – رحمه الله: "اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسانٍ وسائر أئمة الدين؛ أن السُّنَّة تُفَسِّر القرآن، وتبيّنه، وتدلّ عليه"(٢).

٢- أهمية تفسير القرآن العظيم للحافظ ابْن كَثِيرٍ في تفسير القرآن بالسُّنَّة؛ إذ هو أكثر التفاسير عنايةً بالسُّنَّة وتوظيفًا لها في تفسير القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع:

١- أن النظر في الأمثلة التفسيرية للنبي ﷺ يفيد في بيان صحة هذه الأساليب في التفسير، وأنها مما يمكن القياس عليه.

٢- شدة الحاجة لطرح مثل هذا الموضوع لتأصيل تفسير القرآن بالسُّنَّة، خصوصًا من الجانب التطبيقي، الذي لا يزال بحاجةٍ للدراسة والبحث، وهو من الموضوعات التي لم تحظ باهتمامٍ كبيرٍ مِن قِبَل الباحثين.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

اتفق المفسرون على أنَّ السُّنَّة من أهم مصادر التفسير؛ لكونها الشارحة المبينة لآيات القرآن الكريم، ولكنهم اختلفوا في استعمالهم واستفادتهم منها:

فهذا البحث يجيب على:

– مدى استفادتهم من السُّنَّة النبوية في تفسير القرآن؟

---

(١) مسند أحمد: (٢٨/ ٤١٠)، رقم (١٧١٧٤)، قال العَلجُوني في كشف الخفاء (٢/ ٥٢٠)، (الحديث صحيحٌ).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٤٣٢).

- وهل كان كل استعمالهم للسنة من بابِ التفسير؟ أم أنهم توسَّعوا في ذلك إلى أبعد من حدِّ البيان؟
- وما أوجه الربط التي اعتمدها المفسرون في تفسير القرآن بالسُّنَّة؟

الدراسات السابقة:

١- التفسير النبوي دراسة حديثية للدكتور خالد الباتلي.

٢- جامع التفسير من كتب الأحاديث، أشرف على إخراجه - خالد بن عبد القادر آل عقدة.

٣- الصحيح المسند من التفسير النبوي لأبي محمد السيد إبراهيم.

٤- الجواهر واللآلئ المصنوعة في تفسير القرآن العظيم بالأحاديث الصحيحة المرفوعة - تأليف الشيخ عبد الله بن عبد القادر التليدي.

٥- وظيفة السُّنَّة تجاه القرآن الكريم - للشيخ سليمان سليم إبراهيم.

٦- الترجيح بالسُّنَّة عند المفسرين (جمعًا ودراسة) للدكتور ناصر الصائغ.

والخلاصة أنَّ الدراسات السابقة المتعلقة بتفسير القرآن بالسُّنَّة تختلف عن موضوع بحثي هذا من خلال الجوانب التالية:

- أنها تنطلق من السُّنَّة إلى القرآن.
- اقتصار بعضها على التفسير النبوي الصريح. وهو قليلٌ جدًّا بالنسبة لعموم ما ورد في السُّنَّة من أحاديثٍ تفيد في تفسير القرآن وبيان معانيه.
- اقتصر معظمها على جمع المرويات الواردة في تفسير القرآن بالسُّنَّة دون دراسة لها، وربط بينها وبين الآيات.

خطة البحث: اشتمل البحث على تمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس، بيانها فيما يلي:

التمهيد: ويشتمل على: التعريف بابن كثير وتفسيره.

المبحث الأول: دراسة تأصيلية لتفسير القرآن بالسنة ويشمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المقصود بتفسير القرآن بالسنة.

المطلب الثاني: أهمية تفسير القرآن بالسنة.

المطلب الثالث: حجية تفسير القرآن بالسنة.

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية لتفسير القرآن بالسنة ويشتمل على:

أقسام الأحاديث التي أوردها ابن كثير في تفسيره.

الخاتمة: وتشمل على: أهم النتائج ثم فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد: تعريفٌ مختصرٌ بابن كثيرٍ وتفسيره

أولًا: التعريف بالإمام ابْن كَثيرٍ

– **اسمه ونسبه:** الإمام المحدِّث الحافظ ذو الفضائل عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القَيْسِي البصرَوي الدمشقي الشافعي(١).

– **ولادته:** أمَّا عن مولده بعد مطالعتي لبعضٍ مِن كُتبِ التراجم وجدتها لا تتفق على تاريخٍ مُعيَّنٍ لوقت ولادته، فقال ابن حجر(٢): سنة (٧٠٠هـ)(٣)، وقال الزركلي: سنة (٧٠١هـ)(٤)، وذكر البغدادي(٥)في هدية العارفين أنه سنة (٧٠٥هـ)(٦)، وهذا غير صَحيحٍ؛ لأنه كان يبلغ من العمر ثلاث سنوات حين وفاة والده سنة (٧٠٣هـ)، ولد في قريةٍ من أعمال بُصرى الشام(٧).

– **نشأته وأشهر شيوخه:** نشأ في قرية بُصرى الشام اسمها "مجيدل"(٨)، وبعد وفاة والده انتقل مع أخٍ له إلى دمشق سنة (٧٠٦هـ)، قال ابْن كَثيرٍ: (توفي والدي في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمائة، في قرية مجيدل القرية، ودُفن بمقبرتِها الشمالية عند الزيتون، وكنت إذ ذاك صغيرًا ابن ثلاث سنين أو نحوها، لا أدركه إلا كالحلمِ، ثم تحوَّلنا من بعده في سنة سبعٍ وسبعمائة إلى دمشق صحبة كمال الدين عبد الوهاب، وقد كان لنا شقيقًا، وبنا رفيقًا شفوقًا، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين، فاشتغلت على يديه في العلم، فيسَّر الله منه ما يسَّر، وسهل منه ما تعسر)(٩)، ورحل في طلب العلم، وتفقَّه على الشيخين برهان الدين الفزاري وكمال الدين ابن قاضي شُهبة، ثم صاهر الحافظ أبا الحجاج المزي ولازمه، وأخذ عنه، ثم أقبل على الحديث، فاشتغل بمطالعة مُتونه

(١) يُنظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر، (١/٤٤٥)، وطبقات الحفاظ للسيوطي، (ص٥٣٤).

(٢) حافظ الديار المصرية، شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد الكناني العسقلاني المصري الشافعي، وَلعَ بالأدب والشعر، ثم طلب الحديث، ولازم شيخه الحافظ أبا الفضل العراقي، وهو مِن أئمة العلم والتاريخ، من تصانيفه: لسان الميزان، والإصابة في تميز الصحابة، توفي سنة (٨٥٢هـ)، يُنظر: طبقات الحفاظ للسيوطي، (ص٥٥٢)، والأعلام للزركلي، (١/١٧٨).

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر، (١/٤٤٥).

(٤) الأعلام للزركلي، (١/٣٢٠).

(٥) إسماعيل بن محمد بن أمين بن مير سليم البغدادي، عالم بالكتب ومؤلفيها، بابابني الأصل، بغدادي المؤلد والمسكن، له: إيضاح المكنون في الذيل عن كشف الظنون، وهدية العارفين، توفي سنة (١٣٣٩هـ)، يُنظر: الأعلام للزركلي، (١/٣٢٦).

(٦) هدية العارفين للبغدادي، (١/٢١٥).

(٧) يُنظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر، (١/٤٤٥)، والأعلام للزركلي، (١/٣٢٠).

(٨) القصر المشْرِف، وجمعه: مجادل، اسم بلدٍ طيّب بالخابور إلى جانبه تلٌّ عليه قصرٌ، وقيل: اسم موضعٍ ببلاد العرب، وهي اسمٌ للبلدة التابعة لِبَصْرى التي كان أبوه يخطب بها، معجم البلدان لشهاب الدين الحموي، (٥/٥٦)، البداية والنهاية لابن كثير، (١٤/٣٢).

(٩) البداية والنهاية لابن كثير، (١٤/٣٢).

ورجاله، وسمع من ابن الشحنة، وابن الزراد، وإسحاق الآمدي، قال ابن قاضي شهبة[١]: (أقبلَ على حفظ المتون، ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ، حتى برع في ذلك وهو شابٌّ)[٢]، وأخذ عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية، ولازمه وكان له خصوصية به واتباعٌ له في كثيرٍ من آرائه[٣].

– **مكانته العلمية:** كان فقيهًا متقنًا، ومؤرخًا ماهرًا، ومُفسرًا، ومحدثًا، وقد أثنى عليه معاصروه ومَن أتى بعده، فقال عنه ابن حجر: (كان كثير الاستحضار، وسارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع به الناس بعد وفاته، ولم يكن على طريق المحدثين في تحصيل العوالي وتمييز العالي من النازل ونحو ذلك من فنونهم، وإنما هو من مُحدِّثي الفقهاء)[٤]، وقال الذهبي[٥]: (الإمام المفتي المحدِّث البارع، فقيهٌ متفننٌ، محدِّثٌ متقنٌ، مفسرٌ نقالٌ)[٦].

وقال عنه السّيُوطيّ[٧]: (له التفسير الذي لم يُؤلف على نمطِه مثْلُه.... العمدة في علم الحديث معرفةُ صحيحِ الحديث وسَقِيمهِ وعِلَله، واختلاف طُرقِه ورجالِه جرحًا وتعديلًا)[٨].

– **مؤلفاته:** كان للإمام ابْن كَثيرٍ اطلاعٌ عظيمٌ في الحديث والتفسير والتاريخ، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير، وله مصنفاتٌ عديدةٌ مفيدةٌ، تناقلها الناس في حياته، وانتفعوا بها بعد مماته منها: تفسيره القرآن العظيم، والبداية والنهاية وغيرها.

– **وفاته:** توفي الحافظ ابْن كَثيرٍ بدمشق، سنة (٧٧٤هـ)، ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية – رحمه الله.

ثانيًا: التعريف بتفسير ابْن كَثيرٍ

– مميزات تفسير ابْن كَثيرٍ:

امتاز تفسيره بعدة مميزات منها على سبيل المثال لا الحصر:

---

(١) أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأَسَدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين، فقيه الشام، ومؤرخها، وعالمها في عصره، صاحب المصنفات الكثيرة الشهيرة، أهمها: "الإعلام بتاريخ الإسلام"، وقد اشتهر ابن قاضي شهبة بهذا الاسم، لأن أبا جده عمر أقام قاضيًا بشهبة، توفي بدمشق سنة (٨٥١هـ)، يُنظر: شذرات الذهب لابن العماد، (٧٣/١)، والأعلام للزركلي، (٦١/٢).

(٢) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، (٨٥/٣).

(٣) يُنظر: شذرات الذهب لابن العماد، (٦٨/١)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، (٨٥/٣)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، (٤٤٥/١)، والأعلام للزركلي، (٣٢٠/١).

(٤) الدرر الكامنة لابن حجر، (٤٤٥/١).

(٥) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايماز التركماني الدمشقي، حافظٌ، مؤرخٌ، علامةٌ محققٌ، طلب الحديث، وله ثماني عشرة سنة، وتميز في دراسة القراءات وبرَع فيها، وله من المؤلفات: تاريخ الإسلام، وسِيَر النبلاء، توفي في دمشق سنة (٧٤٨هـ)، يُنظر: شذرات الذهب لابن العماد، (٦١/١)، وطبقات الحفاظ للسيوطي، (ص٥٢١).

(٦) المعجم المختص بالمحدثين للذهبي، (ص٧٥).

(٧) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي، جلال الدين، إمامٌ حافظٌ، مؤرخٌ وأديبٌ، له حوالي (٦٠٠) مُصنّف منها: (الدر المنثور في التفسير بالمأثور، والإتقان في علوم القرآن)، توفي سنة (٩١١هـ)، يُنظر: ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي، (ص٢٢٣)، والأعلام للزركلي، (٣٠١/٣).

(٨) يُنظر: طبقات الحفاظ للسيوطي، (ص٥٣٤).

١- شديد العناية بتفسير القرآن بالقرآن.

٢- عدُّ أشهر ما دُوِّنَ في التفسير بالمأثور، حيث نقل عن النبي ﷺ، وكبار الصحابة والتابعين.

٣- يُنبِّه على الإسرائيليات، والموضوعات في التفسير.

٤- تَمَكُّنه من فنون الحديث، ومعرفته بأحوال الرجال.

٥- اهتمامه باللغة العربية، وأسباب النزول، والقراءات.

٦- العناية بدلالة السياق القرآني في تفسيره.

٧- مناقشة أقوال المفسرين، وبيان الراجح منها.

٨- بروز شخصيته في مناقشته للأقوال.

٩- التوفيق بين أقوال العلماء بعضها مع بعض.

١٠- اهتمامه بذكر المعاني الإجمالية للآيات.

١١- تعداده لكثيرٍ من الأقوال وقائليها حتى ولو كانت بنفس المعنى.

١٢- الأسلوب الواضح، والعبارات السهلة الموجزة.

١٣- تَمسُّكه بمذهب أهل السُّنَّة والجماعة.

- طريقته في التفسير:

أبانَ ابْن كَثيرٍ طريقته في التفسير في مقدمة تفسيره، واعتمد في ذلك على كلام شيخه ابن تيمية[١] في مقدمته التفسيرية، حيث قال: (فإنْ قال قائلٌ: فما أحسن طرق التفسير؟).

فالجواب: إنَّ أصحَّ الطرق في ذلك أن يُفسَّر القرآنُ بالقرآنِ، فما أُجْمِلَ في مكانٍ فإنَّه قد فُسِّر في موضعٍ آخر، فإنْ أعْياك ذلك فعليك بالسُّنَّة؛ فإنها شارحةٌ للقرآن وموضحةٌ له.... وحينئذ، إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السُّنَّة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرَى بذلك؛ لِمَا شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولِمَا لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح.... إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السُّنَّة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثيرٌ من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين)[٢].

فَمِن خلال هذا النصِّ نجد أنه رسم لنفسه منهجًا ليسيرَ عليه في تفسيره، فكان يذكر الآية، ثم يُفسِّرها بأسلوبٍ واضحٍ، وعبارةٍ سهلةٍ موجزةٍ، واعتمد اعتمادًا كبيرًا على تفسير القرآن بالقرآن، فإن أمكَن توضيح الآية بآيةٍ أخرى ذكرها، لهذا نراه يجمع الآيات التي توضح المعنى المراد من الآية، ثم ينتقل إلى التفسير بالسُّنَّة الواردة عن رسول الله ﷺ، فيذكر الأحاديث التي توضِّح معنى الآية، ثم يتبعها بأقوال الصحابة والتابعين ومن يَليهم من علماء

(١) الإمام العلامة الحافظ المجتهد المفسر، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية، من مؤلفاته: منهاج السنة، والفتاوى، والواسطة بين الحق والخلق، توفي سنة (٧٢٨هـ)، يُنظر: طبقات الحفاظ للسيوطي، (ص٥٢٠)، والأعلام للزركلي، (١/١١٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (١/٦).

السلف، فيحرص على ذكْر أكبر عددٍ من الأقوال المرويَّة عنهم، حتى لو تقاربت العبارات، ويناقشها، ويرجح بعض الأقوال على بعضٍ، ثم يُفسِّر القرآن باللغة العربية، فهو يستشهد بلغة العرب شعرًا ونثرًا ويوظفها في بيان المعنى المراد، وقد أشار إلى ذلك في مقدمته، حيث قال: (فإن اختلفوا فلا يكون بعضهم حجةً على بعضٍ، ولا على مَن بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السُّنَّة أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك)[١].

المبحث الأول: دراسة تأصيلية لتفسير القرآن بالسنة

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المقصود بتفسير القرآن بالسنة

السُّنَّة تشمل كلَّ قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ للرسول ﷺ، ويرد في تفسير القرآن بالسُّنَّة مصطلحان: الأول (التفسير النبوي)، والثاني (التفسير بالسُّنَّة).

١-التفسير النبوي (التفسير المباشر):

هو أن يَعْمد النبي ﷺ إلى آيةٍ يذكرها في كلامه، أو يشير إليها، ثم يبيّن معناها، أو يقرّ أحدَ أصحابِه على فهمِه لها، أو يتأوّل معناها ويعمل به[٢].

٢-التفسير بالسُّنَّة (تفسيرٌ غيْر مباشرٍ):

هو تفسيرُ المفسِّرِ الآيةَ بما جاء في سُنة الرسول ﷺ مِن قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ دون أن يكون الحديث قاصدًا لتفسير الآية.

فهي كل إفادةٍ يستفيدها المفسّر مِن السُّنَّة لتفسير القرآن، وهذه الإفادة من اجتهاد المفسر ولا يمكن حصْرها[٣].

المطلب الثاني: أهمية تفسير القرآن بالسنة

السُّنَّة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، ولها مكانةٌ عظيمةٌ في هذا الدين، فهي مفسرةٌ لكتاب الله، وموضحةٌ له، وهي وحيٌ من الله كما قال رسول الله ﷺ: "ألا إني أُوتيت القرآن، ومثله معه"[٤]، يعني السُّنَّة، وروى الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: "كان الوحي ينزلُ على رسول الله ﷺ ويحضره جبريل بالسُّنَّة التي تفسِّر ذلك"[٥]، وعن مكحولٍ قال: "القرآن أحوج إلى السُّنَّة من السُّنَّة إلى القرآن"[٦]، وعن الأوزاعي قال: قال يحيى

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (١/١٢).

(٢) التحرير في أصول التفسير بتصرف للدكتور مساعد الطيار، (ص٦٣).

(٣) وسيأتي بيان أمثلة لهذا في الفصل الثاني كما سيأتي.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (١/٣٩).

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (١/٣٩).

بن أبي كثيرٍ: "السُّنَّة قاضيةٌ على الكتاب، وليس الكتاب بقاضٍ على السُّنَّة"(١)، قال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله – يعني أحمد بن حنبل – وسُئل عن هذا الحديث الذي روى أن السُّنَّة قاضيةٌ على الكتاب، فقال: "ما أجْسُرُ على هذا أن أقوله، ولكنِّي أقول: إنَّ السُّنَّة تفسِّر الكتاب وتبيِّنه"(٢).

وقال ابن القيم(٣): (تُقرِّر نصوص القرآن وتَكشف معانيها كشفًا مفصلًا، وتُقرِّب المرادَ وتدفعُ عنه الاحتمالات، وتُفسّر المجْمل منه وتُبيِّنه وتوضحه؛ لِتقوم حُجَّة الله به، ويعلم أن الرسول بيَّن ما أُنزل إليه من ربه، وأنه بلَّغ ألفاظه ومعانيه بلاغًا مبينًا حصلَ به العلم اليقيني، بلاغًا أقام الحجة، وقطعَ المعذرة وأوجبَ العلم، وبيَّنه أحسن البيان وأوضحه)(٤).

ويتضح لنا مما سبق مقدار ارتباط السُّنَّة بالكتاب، وأنَّ السُّنَّة مع الكتاب لا تخرج عن ثلاثةِ أحوالٍ؛ البيان، والتوكيد، والزيادة، والذي يهمنا في هذا السياق البيان، وسيأتي بيانه في الفصل الثاني.

المطلب الثالث: حجية تفسير القرآن بالسنة

قال الشاطبي: "بيان رسول اللهﷺبيانٌ صحيحٌ لا إشكال في صحَّته؛ لأنه لذلك بُعِثَ، قال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤)، ولا خلاف فيه"(٥).

وقال الشافعي: "وسنن رسول الله مع كتاب الله وجهان: أحدُهما: نصُّ كِتابٍ، فاتَّبَعه رسول الله كما أنزلَ اللهُ، والآخر: جُمْلةً، بيَّن رسول الله فيه عن الله معنى ما أراد بالجملةِ، وأوضح كيف فَرْضُها عامًا أو خاصًا، وكيف أراد أن يأتي به العباد، وكلاهما اتَّبع فيه كتابَ الله"(٦).

قال الشَّوْكاني مُبينًا حجية تفسير القرآن بالسُّنَّة: (ما كان من التفسير ثابتًا عن رسول الله ﷺ، كان المصيرُ إليه مُتعينًا، وتقديمه مُتحتِّمًا)(٧).

فيتبيَّن أنه يتعذر العمل بالقرآن وحده، فلا يمكن لعقل بشرٍ أن يقتصر على فهْم الشريعة، وأحكامها، وتفاصيلها، من القرآن وحده، بل لا بدَّ من الرجوع في ذلك إلى السُّنَّة التي نزل بها الوحي، كذلك القرآن قد اشتمل على نصوصٍ كثيرةٍ مُجملةٍ، وأخرى مُشكلةٍ، ولا بدَّ من العمل بها من شرحٍ يُبيّنها.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (٣٩/١)، والسنة للمروزي، (ص٣٣)، رقم (١٠٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (٣٩/١).

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين، ابن قيم الجوزية الحنبلي، من أركان الإصلاح الإسلامي، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، ألَّف تصانيف كثيرة منها: إعلام الموقعين، والجواب الكافي، عارف بالتفسير والحديث وأصول الفقه، توفي سنة (٧٥١هـ)، يُنظر: الدرر الكامنة لابن حجر، (١٣٧/٥)، والأعلام للزركلي، (٥٦/٦).

(٤) مختصر الصواعق المرسلة والمعطلة لابن القيم الجوزية، (ص٥٣٢).

(٥) الموافقات للشاطبي، (١٢٧/٤).

(٦) الرسالة للشافعي، (ص٩٠).

(٧) فتح القدير للشوكاني، (١٤/١).

وعليه فحُجِّية تفسير القرآن بالسُّنَّة تنقسم إلى ما يأتي:

الأول: إذا كان تفسيرًا نبويًا مباشرًا فهو حجةٌ بلا خلافٍ(١).

الثاني: إذا كان التفسير بالسُّنَّة غيْر مباشرٍ فأنه ينقسم من حيث الحُجّية إلى قسمين:

القسم الأول: ما يكاد يقع عليه الاتفاق من أن الحديث يفسر الآية، وهذا حجةٌ بلا خلافٍ(٢).

القسم الثاني: إذا كان الاستدلال بالحديث على بيان معنى الآية فيه خفاءٌ، ويقع فيه منازعةٌ بين العلماء، فهذا لا يلزم بحجّيته في تفسير القرآن؛ فلا يكون حجةً بإطلاقٍ (٣).

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية لتفسير القرآن بالسنة

يمكن تقسيم الأحاديث التي وظفها ابْن كَثِيرٍ في تفسير القرآن في تفسيره – من خلال ما استخلصته من دراستي التطبيقية– من عدة جهاتٍ:

أولًا: من جهة الموافقة والمخالفة

١–أحاديث قد يفهم منها موافقة ما نصّت عليه الآية والإجابة عنها:

عند تفسير ابْن كَثِيرٍ لقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، قال: (فأمَّا الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا يحيى عن حميد عن أنس: أنَّ رسول الله ﷺ قال لرجلٍ: "أسلم" قال: إني أجدني كارهًا، قال: "وإنْ كنت كارهًا" فإنه ثلاثي صحيحٌ، ولكن ليس من هذا القبيل فإنه لم يكرهه النبي ﷺ على الإسلام بل دعاه إليه، فأخبر أن نفسه ليست قابلةً له بل هي كارهةٌ، فقال له: "أسلم وإنْ كنت كارهًا"(٤) فإن الله سيرزقك حسن النية والإخلاص")(٥).

فابن كثيرٍ أورد هذا الحديث الذي قد يُفهم منه موافقة الآية بأن النبي ﷺ أكرهه على الإسلام، وأجاب عنه.

١–أحاديث قد يفهم منها مخالفة ما نصّت عليه الآية والإجابة عنها:

عند تفسير ابْن كَثِيرٍ لقوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ﴾ (البقرة: ٢٥٣)، قال: (فإنْ قيل: فما الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الثابت في

---

(١) مثل تفسير ابن كثير لقوله: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ (آل عمران: ٩٧)، في المبحث الثاني.

(٢) مثل تفسير ابن كثير لقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، في المبحث الثاني.

(٣) مثل تفسير ابن كثير لقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ﴾ (آل عمران: ١١٨)، في المبحث الثاني، وانظر: التحرير في أصول التفسير (ص٧٣).

(٤) مسند أحمد: مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك، (٢٠/٢٣٤)، رقم (١٢٨٦٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٣٠٥)، (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (١/٦٨٣).

الصَّحِيحَين عن أبي هريرة قال: استبَّ رجلٌ من المسلمين ورجلٌ من اليهود، فقال اليهودي في قسم يقسمه: لا والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي، فقال: أي خبيث وعلى محمدﷺ! فجاء اليهودي إلى رسول الله ﷺ فاشتكى على المسلم، فقال رسول الله ﷺ: "لا تفضلوني على الأنبياء فإنَّ الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشًا بقائمة العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جُوزي بصعقة الطور؟ فلا تفضلوني على الأنبياء"، وفي روايةٍ: "لا تفضلوا بين الأنبياء"[1]، فالجواب من وجوهٍ:

أحدها: أن هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل وفي هذا نظرٌ.

الثاني: أن هذا قاله من باب الهضْم والتواضع.

الثالث: أن هذا نهيٌ عن التفضيل في مِثل هذه الحال التي تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر.

الرابع: لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية.

الخامس: ليس مقام التفضيل إليكم، وإنما هو إلى الله ﷻ وعليكم الانقياد والتسليم له، والإيمان به)[2].

فأورد ابْن كَثِيرٍ في تفسيره لهذه الآية الأحاديث التي قد يُفهم منها مخالفة ما نصّت عليه الآية من التفضيل بين الأنبياء، وأجاب عن ذلك بالوجوه المذكورة في كلامه سابقًا.

ثانيًا: من جهة الصراحة وعدمها

١–حديثٌ صريحٌ ومباشرٌ في تفسير الآية:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ (آل عمران: ٩٧)، ذكر ابْن كَثِيرٍ حديثًا صريحًا في تفسير هذه الآية، حيث أورد: (ما رواه الحاكم من حديث قتادة عن حماد بن سلمة، عن قتادة، عن أنس؛ أنَّ رسول الله ﷺ سُئل عن قول الله: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ فقيل: ما السبيل؟ قال: "الزاد والراحلة"، ثم قال: صحيحٌ على شرط مسلمٍ، ولم يخرجاه)[3].

فهذا الحديث صريح ومباشر في تفسير هذه الآية حيث سئل عنها رسول الله وتولى تفسيرها.

٢– حديثٌ غير صريحٍ في تفسير الآية، وربطه بها صحيحٌ

عند تفسير ابْن كَثِيرٍ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ (آل عمران: ٩١)، أورد الحديث التالي: (قال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، حدثني شعبة، عن أبي عمران الجوني، عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ

---

(١) صحيح البخاري: كتاب حديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، (١٥٧/٤)، رقم (٣٤٠٨)، وباب قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ (الصافات: ١٣٩)، رقم (٣٤١٤)، وصحيحٌ مسلمٍ: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، (١٨٤٣/٤)، رقم (٢٣٧٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٦٧١/١).

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم: كتاب الصوم، رقم (١٦١٤)، وقال: (هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلمٍ ولم يُخرّجاه)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٨٣/٢).

قال: "يُقال للرجل مِن أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيءٍ، أكنت مفتديًا به؟ قال: فيقول: نعم، قال: فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر أبيك آدم ألا تشرك بي شيئًا، فأبيت إلا أن تشرك"(١)، وهكذا أخرجاه البُخارِيّ، ومسلمٌ)(٢).

فهذا الحديث لم يرد في تفسير هذه الآية لكن ربطه بها صحيح حيث أن مدلوله يتفق مع مدلول الآية.

٣- حديثٌ غير صريحٍ في تفسير الآية، وربطه بها فيه نظرٌ

عند تفسير ابْن كَثِيرٍ لقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ (آل عمران: ١١٨)، أورد ما رواه الحافظ أبو يَعْلَى: (حدثنا إسحاق بن إسرائيل، حدثنا هشيم، حدثنا العوام، عن الأزهر بن راشد قال: كانوا يأتون أنسًا، فإذا حدَّثهم بحديثٍ لا يدرون ما هو، أتوا الحسن - يعني البصري - فيفسره لهم، قال: فحدّث ذات يومٍ عن النبي ﷺ أنه قال: "لا تستضيؤوا بنار المشركين، ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيًّا" فلم يدروا ما هو، فأتوا الحسن، فقالوا له: إن أنسًا حدثنا أن رسول الله ﷺ قال: "لا تستضيؤوا بنار الشركِ، ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيًّا" فقال الحسن: أما قوله: "ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيًّا: محمدٌﷺ، وأما قوله: "لا تستضيؤوا بنار الشرك" يقول: لا تستشيروا المشركين في أموركم، ثم قال الحسن: تصديق ذلك في كتاب الله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾(٣).

قال ابْن كَثِيرٍ: هذا التفسير فيه نظرٌ، ومعناه ظاهرٌ: "لا تنقشوا في خواتيمكم عربيًّا" أي: بخطٍّ عربيٍّ؛ لِئلا يشابه نقش خاتم النبي ﷺ، فإنه كان نقشه: محمدٌ رسول الله، وأما الاستضاءة بنار المشركين، فمعناه: لا تُقاربوهم في المنازل بحيث تكونون معهم في بلادهم، بل تباعدوا منهم وهاجروا من بلادهم؛ ولهذا روى أبو داود: "لا تتراءى ناراهما"(٤)، وفي الحديث الآخر: "من جامَع المشرك أو سكنَ معه، فهو مثله"(٥)، فحمل الحديث على ما قاله الحسن - رحمه الله، والاستشهاد عليه بالآية فيه نظرٍ، والله أعلم)(٦).

فالإمام ابْن كَثِيرٍ بيَّن عدم صحة حمْل هذا الحديث على ما فسره به الحسن، والاستدلال به على الآية، وأجاب عن ذلك، واسْتدلَّ على ذلك بالسُّنَّة.

---

(١) مسند أحمد: مسند المكْثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك ﷺ، (٣٠٢/١٩)، رقم (١٢٢٨٩).

(٢) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، (١٣٣/٤)، رقم (٣٣٣٤)، وصحيحُ مسلمٍ: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا، (٢١٦١/٤)، رقم (٢٨٠٥)، كلهم من طريق شعبة، عن أبي عمران الجوني، عن أنسٍ به، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٢/٢).

(٣) أخرجه النسائي: كتاب الزينة، قول النبي - صلى الله عليه وسلم: (لا تنقشوا على خواتيمكم عَرَبيًّا)، رقم (٥٢٠٩)، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة، (٥٢٥/٤)، (إسناده ضعيفٌ؛ لجهالة أزهر بن راشد).

(٤) سنن أبي داود: كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود، رقم (٢٦٤٥)، قال: (رواه هشيم، ومعمر وخالد الواسطي وجماعة لم يذكروا جريرًا).

(٥) سنن أبي داود: كتاب الجهاد، باب في الإقامة بأرض الشرك، رقم (٢٧٨٧)، وقد قال في رسالته لأهل مكة: (المسكوت عنه صالحٌ)، يُنظر: رسالة أبي داود لأهل مكة، (ص٢٧).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (١٠٧/٢).

ثالثًا: من جهة بيان المعنى وبيان اللفظ

١- بيان المعنى (سواءٌ كان لفظ الحديث مطابقًا للآية أو معناها):

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٥)، أورد حديثًا موافقًا للفظ الآية ومعناها حيث قال: (قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد أخبرنا جَرير، حدثنا حبان - هو ابن زيد الشرعبي - عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال - وهو على المنبر: "ارحموا تُرْحموا، واغفروا يُغفر لكم، ويلٌ لأقماع القول، ويلٌ للمصرّين الذين يُصرّون على ما فعلوا وهم يعلمون")[١].

٢- بيان اللفظ:

عند تفسير ابْن كَثِيرٍ لقوله تعالى: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران: ١٢٥)، أورد حديثًا يُبيّن المراد باللفظ، (عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قال: "مُعلمين، وكان سيما الملائكة يوم بدرٍ عمائم سُود، ويوم حُنين عمائم حُمر")[٢]، فهذا الحديث بين المراد بهذه اللفظ القرآني.

رابعًا: من جهة المنطوق والمفهوم

١- بيانٌ لمنطوق الآية:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ (آل عمران: ٩٧)، فقد ذكر حديثًا دلَّ على الحكم الذي ذُكر في الآية ونطقت به، حيث أورد الحديث التالي: (قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا الربيع بن مُسلم القرشي، عن محمدٍ بن زياد، عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: " أيها الناس، قد فُرض عليكم الحج فحجُّوا"، فقال رجلٌ: أَكُلّ عامٍ يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: "لو قلت: نعم، لَوَجبت، ولَمَا استطعتم"، ثم قال: "ذَرُوني ما تركتكم، فإنما هلكَ مَن كان قبلكم بكثرةِ سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرتُكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيءٍ فَدَعُوه"، ورواه مسلمٌ، عن زهير بن حرب، عن يزيد بن هارون، به نحوه)[٣].

٢- بيانٌ لمفهوم الآية:

عند تفسير قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ (البقرة: ٢٧٤) قال: (هذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله، وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات من ليل أو نهار، والأحوال من سر وجهار،

---

(١) مسند أحمد: مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، (١١/٩٩)، رقم (٦٥٤١)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٩١)، (رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير حبّان بن يزيد الشرعي، ووثقه ابن حبان)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٢/١٢٦).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (١١/١٩٣)، رقم (١١٤٦٩)، قال الهيثمي في المجمع، (٦/٣٢٧)، (فيه عبد القدوس بن حبيب وهو متروكٌ)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٢/١١٣).

(٣) مسند أحمد: مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة ﷺ، (١٦/٣٥٥)، رقم (١٠٦٠٧)، وصحيح مسلمٍ: كتاب الحج، باب فرْض الحج مرةً في العمر، رقم (١٣٣٧)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٢/٨١).

حتى إن النفقة على الأهل تدخل في ذلك أيضا، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص – حين عاده مريضا عام الفتح، وفي رواية عام حجة الوداع: "وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة، حتى ما تجعل في في امرأتك"(١).

٣– بيان أن منطوق الآية لا مفهومَ له:

عند تفسير قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ (البقرة: ٢٨٣)، أورد حديثا: (عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسقا من شعير، رهنها قوتا لأهله)(٢).

فالآية دلّت على أنَّ الرهن يكون في السفر، والحديث دلَّ على أنَّ رسول الله ﷺ لما رهن درْعَهُ كان ذلك في الحضر.

خامسًا: مِن جهة العموم والخصوص

١– موافقة العموم الوارد في الآية:

عند تفسير قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، أورد حديث رواه ابن ماجه عن أبي هريرة قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتيت ليلة أسري بي على قوم بطونهم كالبيوت، فيها الحيات ترى من خارج بطونهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا")(٣).

٢– تخصيص العام

عند تفسير قوله ﴿وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ (آل عمران: ١٩٥)، أورد حديثا ثبت في الصحيح (أن رجلًا قال: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر، أيكفر الله عني خطاياي؟ قال: "نعم" ثم قال: "كيف قلت؟ ": فأعاد عليه ما قال، فقال: "نعم، إلا الدين، قاله لي جبريل آنفا")(٤).

فابن كثيرٍ أورد هذا الحديث الذي يخصّص العموم في الآية بأن الشهيد يُكفر عنه خطاياه إلا الدَّيْن.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب حجة الوداع، (١٧٨/٥)، رقم (٤٤٠٩)، وانظر: تفسير القران العظيم لابن كثير، (٧٠٧/١).

(٢) صحيح البخاري: كتاب البيوع، باب شراء النبي بالنسيئة، (٥٦/٣)، رقم (٢٠٦٩)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٧٢٧/١).

(٣) سنن ابن ماجه: كتاب التجارات، باب التغليظ في الربا، رقم (٢٢٧٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، (٦٦/١)، (فيه أبو الصلت لا يعرف، ولم يرو عنه غير علي بن يزيد)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٧٠٩/١).

(٤) تفسير ابن كثير، (١٩١/٢)، والحديث في صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، رقم (١٨٨٥).

سادسًا: من جهة صحةِ الاحتجاج بالحديث في التفسير، وعدم صحته

١- صحّة الاحتجاج بالحديث في تفسير الآية:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران: ١٣٥)، أورد ابْن كَثِيرٍ الحديث التالي: (قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا همام بن يحيى، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "إن رجلًا أذنب ذنبًا، فقال: ربِّ إني أذنبت ذنبًا فاغفره، فقال الله [ﷻ] عبدي عمل ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرتُ لِعبدي، ثم عمل ذنبًا آخر، فقال: ربِّ، إني عملت ذنبًا فاغفره، فقال -تبارك وتعالى: علِم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرتُ لعبدي، ثم عمل ذنبًا آخر، فقال: رب، إني عملت ذنبًا فاغفره لي، فقال ﷻ: علِم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي ثم عمل ذنبًا آخر، فقال: ربِّ، إني عملت ذنبًا فاغفره فقال ﷻ: عبدي علِم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، أُشهدكم أني قد غفرتُ لعبدي، فليعمل ما شاء"(١)، أخرجه في الصحيح من حديث إسحاق بن أبي طلحة، بنحوه)(٢)، فهذا الحديث ربطه بهذه الآية صحيح حيث دل على ما دلت عليه الآية بأن الله يغفر للمستغفرين عن ذنوبهم.

٢- عدم صحة الاحتجاج بالحديث في تفسير الآية:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، أورد ابْن كَثِيرٍ حديثًا رواه الإمام أحمد: (عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال لرجلٍ: "أسلِم" قال: إني أجدني كارهًا، قال: "وإن كنت كارهًا"، قال ابْن كَثِيرٍ: فإنه ثلاثيٌّ صحيحٌ، ولكن ليس من هذا القبيل، فإنه لم يكرهه النبي ﷺ على الإسلام، بل دعاه إليه، فأخبر أن نفسه ليست قابلةً له، بل هي كارهةٌ، فقال له: "أسلِم وإن كنت كارهًا"، فإن الله سيرزقك حسن النية والإخلاص")(٣).

فابن كثيرٍ بيَّن عدم صحة الاستدلال بهذا الحديث على هذه الآية، فالنبي ﷺ دعاه إلى الإسلام، ولم يُكرهه.

سابعًا: اعتبار السياق

عند تفسير قوله: ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (آل عمران: ٥٢)، قال: (قال مجاهد: أي من يتبعني إلى الله؟ وقال سفيان الثوري وغيره: من أنصاري مع الله؟ وقول مجاهد أقرب.

والظاهر أنه أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله؟ كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مواسم الحج، قبل أن يهاجر: "من رجل يؤويني على أن أبلغ كلام ربي، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي حتى وجد

(١) مسند أحمد: مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة ﷺ، (١٣/٣٢٩)، رقم (٧٩٤٨).

(٢) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ (الفتح: ١٥)، (٩/١٤٥)، رقم (٧٥٠٧)، وصحيح مسلمٍ: كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإنْ تكررت الذنوب والتوبة، (٤/٢١١٢)، رقم (٢٧٥٨). وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٢/١٢٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (١/٦٨٣).

الأنصار فآووه ونصروه، وهاجر إليهم فآسوه ومنعوه من الأسود والأحمر، وهكذا عيسى ابن مريم، انتدب له طائفة من بني إسرائيل فآمنوا به وآزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، ولهذا قال تعالى مخبرا عنهم: ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ (آل عمران: ٥٢)[١]، فابن كثير رجح أن المراد بالآية من أنصاري في الدعوة إلى الله واستدل على ذلك بالسنة بدلالة سياق الآية.

ثامنًا: بيان المُجْمل

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ (آل عمران: ١٠٢)، أورد ابْن كَثِيرٍ حديثًا يبيّن كيفية تقوى الله حقَّ تُقاته؟، حيث ذكر: (ما رواه ابْن مَرْدَوَيْه من حديث يونس بن عبْد الأعْلى، عن ابن وهبٍ، عن سُفْيان الثَّوْريّ، عن زبيد، عن مرة، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: "﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ أن يُطاع فلا يُعصَى، ويُشكر فلا يُكْفر، ويُذْكر فلا يُنسى)"[٢].

فهذا الحديث بين المجمل الوارد في الآية في كيفية تقوى الله حق تقاته.

تاسعًا: الاعتماد على السُّنَّة في ترجيح أحد المحتملات

عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ (آل عمران: ٥٢)، قال ابْن كَثِيرٍ: (الحواريون، قيل: كانوا قصارين، وقيل: سموا بذلك لِبياض ثيابهم، وقيل: صيَّادين، والصحيح أن الحوارِيّ الناصر، كما ثبت في الصَّحِيحَين أن رسول الله ﷺ لما ندب الناس يوم الأحزاب، فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال: "إنَّ لكل نبيٍّ حواريًا وحوارِيّ الزبير")[٣].

فابن كثير رجح أن المراد بالحواري الناصر معتمد في ذلك على ما ورد في السنة.

عاشرًا: إزالة ما يُوهم التعارض بين الآية والحديث

عند تفسير قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ (البقرة: ٢٥٣)، أورد ابْن كَثِيرٍ حديثًا يُوهم التعارض بينه وبين الآية، وجمع بينهما، وأجاب عن ذلك بوجوهٍ، حيث قال: (فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الثابت في الصَّحِيحَين عن أبي هريرة قال: استبَّ رجلٌ من المسلمين ورجلٌ من اليهود، فقال اليهودي في قسَمٍ يقسمه: لا والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفعَ المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي، فقال: أي خبيث؛ وعلى محمدٍﷺ! فجاء اليهودي إلى رسول الله ﷺ، فاشتكى على المسلم، فقال رسول الله ﷺ: "لا

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٤٦/٢).

(٢) وكذلك عزاه إليه السيوطي في الدّر المنثور، (٢٨٢/٢)، وقال ابن كثير في تفسيره (٨٧/٢)، (الأظهر أنه موقوفٌ)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٨٧/٢).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الطليعة، (٢٧/٤)، رقم (٢٨٤٧)، وباب هل يبعث الطليعة وحده؟، رقم (٢٨٤٧)، وكتاب المناقب، باب مناقب الزبير بن العوام، (٢١/٥)، رقم (٣٧١٩)، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة ﷺ باب من فضائل طلحة والزبير ﷺ، (١٨٧٩/٤)، رقم (٢٤١٥)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٤٦/٢).

تفضّلوني على الأنبياء، فإن الناس يُصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فأجد موسى باطشًا بقائمة العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جُوزي بصعقة الطور؟ فلا تفضّلوني على الأنبياء"، وفي رواية: "لا تفضلوا بين الأنبياء"، فالجواب من وجوهٍ:

أحدها: أن هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل وفي هذا نظرٌ.

الثاني: أن هذا قاله من باب الهضْم والتواضع.

الثالث: أن هذا نهيٌ عن التفضيل في مثل هذه الحال التي تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر.

الرابع: لا تفضّلوا بمجرد الآراء والعصبية.

الخامس: ليس مقام التفضيل إليكم، وإنما هو إلى الله ﷻ، وعليكم الانقياد والتسليم له، والإيمان به)[1].

الحادي عشر: تعين المُبْهم

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ (آل عمران: ٨٣)، أورد الحديث التالي: (فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن النضر العسكري، حدثنا سعيد بن حفص النفيلي، حدثنا محمد بن محصن العكاشي، حدثنا الأوزاعي، عن عطاء بن أبي رباح، عن النبي صلى الله عليه وسلم ﷺ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ أما مَن في السماوات فالملائكة، وأما مَن في الأرض فمَن وُلد على الإسلام، وأما كرهًا فمَن أتي به من سبايا الأمم في السلاسل والأغلال، يُقادون إلى الجنة وهم كارهون")[2].

فابن كثير أورد هذا الحديث ليبن ما المراد بالذين أسلموا لله في السَّماء والأرض طوعًا وكرهًا؟

الثاني عشر: تأكيد الحكم وتقويته

عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا﴾ (آل عمران: ٩١) أورد الحديث التالي: (أنه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن جدعان – وكان يقري الضيف، ويفك العاني، ويطعم الطعام: هل ينفعه ذلك؟ فقال: "لا إنه لم يقل يومًا من الدهر: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)"[3].

فهذا الحديث أكد أن من عاش على الكفر ومات عليه لم ينفعه ما قدمه من أعمال صالحة ولن تقبل منه.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٦٧١/١).

(٢) المعجم الكبير للطبراني: (١٩٤/١١)، رقم (١١٤٧٣)، وفي المعجم الكبير ذكر عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس عن النبي ﷺ فذكر الحديث، أما هنا أسقط اسم ابن عباس، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، (٣٢٦/٦)، (فيه محمد بن محصن العكاشي وهو متروكٌ)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٦٩/٢).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على كفر لا ينفعه عمل، (١٩٦/١)، رقم (٢١٤)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٢/٢).

الثالث عشر: وجود إشارة في الآية إلى موضوعٍ بيَّنه الرسول ﷺ في كلامه

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، أورد حديثًا في كيفية كظم الغيظ، حيث قال: (قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا داود بن أبي هند عن بن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبي الأسود، عن أبي ذر قال: كان يسقي على حوضٍ له، فجاء قومٌ قالوا: أيكم يورد على أبي ذرٍ، ويحتسب شعراتٍ من رأسه، فقال رجلٌ: أنا، فجاء الرجل فأورد عليه الحوض فدقَّه، وكان أبو ذرٍ قائمًا فجلس، ثم اضطجع، فقيل له: يا أبا ذر، لم جلست ثم اضطجعت؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: "إذا غضب أحدكم وهو قائمٌ فليجلس، فإنْ ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع)"[(١)].

الرابع عشر: ذكر مصْداق كلام النبي ﷺ من القرآن

عند تفسير ابْن كَثيرٍ لقوله تعالى:﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، أورد الحديث التالي: (قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا محمد بن عمرو بن علْقمة، عن أبي سَلَمة، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: موضع سوْطٍ في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها، اقرؤوا إنْ شئتم: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾[(٢)].

الخامس عشر: بيان سبب نزولِ الآية

ومثاله: عند تفسير ابْن كَثيرٍ لقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾(آل عمران: ١٢٨)، أورد سبب نزول هذه الآية حيث قال: (قال البُخارِيّ: حدثنا حبان بن موسى، أخبرنا عبد الله، أخبرنا معْمَر، عن الزهْرِيّ، حدثني سالمٌ، عن أبيه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول، إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الثانية من الفجر اللهم الْعن فُلانًا وفلانًا" بعد ما يقول: "سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد"، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾[(٣)].

السادس عشر: إقرار رسول الله ﷺ أحدَ أصحابه على فهْم الآية

عند تفسير ابْن كَثيرٍ لقوله تعالى:﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢)، أورد الحديث التالي: (قال الإمام أحمد: حدثنا رَوْحٌ، حدثنا مالكٌ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، سمع أنسَ

(١) مسند أحمد: مسند الأنصار، حديث أبي ذرٍّ الغفاري ﷺ، (٣٥/٢٧٨)، رقم (٢١٣٤٨)، وقال الهيثمي في المجمع، (٨/٧٠): (رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٢/١٢٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، (٣/٨٣٣)، رقم (٤٦١٠)، ورواه الترمذي: كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة آل عمران، رقم (٣٠١٣)، وقال: (هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٢/١٧٨).

(٣) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢)، (٦/٣٨)، رقم (٤٥٥٩)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٢/١١٤).

بن مالكٍ يقول: كان أبو طلحة أكثر أنصاريٍّ بالمدينة مالًا، وكان أحبّ أمواله إليه بَيْرُحَاء – وكانت مستقبلةً المسجد، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيّبٍ – قال أنسٌ: فلما نزلت: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال أبو طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإنَّ أحب أموالي إليَّ بَيْرُحَاء، وإنها صدقةٌ لله أرجو برَّها وذُخْرَها عند الله – تعالى، فضعْها يا رسول الله حيث أراكَ الله تعالى، فقال النبي ﷺ: "بَخٍ، ذاكَ مالٌ رابحٌ، ذاك مالٌ رابحٌ، وقد سمعت، وأنا أرى أنْ تجعلها في الأقْرَبين"، فقال أبو طلحة: أفْعل يا رسول الله، فقَسَمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمّه، أخرجاه)[1].

فرسول الله صلى الله عليه وسلم أقر أبو طلحة على فهمه لهذه الآية حينما أنزلت وبادر بإنفاق أحب أمواله إليه.

السابع عشر: من جهة صحة الأحاديث وضعفها

أورد ابْن كَثيرٍ في تفسيره الحديث الصحيح، والحَسن، والضعيف، والمَوْضوع.

فمِن الأول: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، أورد الحديث الصحيح التالي: «من عمل عملًا ليس عليه أمْرنا فهو ردٌّ»[2].

ومِن الثاني: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، أورد الحديث الذي رواه الترمذي: عن حذيفة بن اليَمان، عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لَتأمرنَّ بالمعروف، ولَتنْهونَّ عن المنكرِ أو لَيُوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدْعونه فلا يُستجاب لكم» وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ[3].

ومن الثالث: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، أورد الحديث الذي رواه ابن ماجة: عن أبي هُريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَتَيْتُ ليلةَ أُسْرِيَ بِي على قومٍ بُطونُهم كالبيوتِ، فيها الحيَّاتُ تُرَى من خارجِ بُطونهم، فقلت: مَن هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: هؤلاء أَكَلةُ الرِّبَا»[4]، ورواه الإمام أحمد، عن حَسن وعفّان، كلاهما عن حمَّاد بن سَلَمة به، وفي إسنادِه ضعْفٌ[5].

---

(١) مسند أحمد: مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك ﷺ، (٤٢٦/١٩)، رقم (١٢٤٣٨)، وصحيح البخاري: كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، رقم (١٤٦١)، وصحيح مسلمٍ: كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة والنفقة على الأقربين، رقم (٩٩٨)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٧٣/٢).

(٢) صحيح مسلمٍ: كتاب الحدود، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، (١٣٤٣/٣)، رقم (١٧١٨)، عن عائشة – رضي الله عنها، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٣٢/٢).

(٣) سنن الترمذي: أبواب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، رقم (٢١٦٩)، وقال: "هذا حديثٌ حسنٌ"، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٩١/٢).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) مسند الإمام أحمد، (٢٨٦/١٤)، رقم (٨٦٤٠)، إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد، وجهالة أبي الصلت كما سبق، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٧٠٩/١).

ففي هذا المَوْضِع نبَّه ابْن كَثِيرٍ على ضعْفِه، وفي بعض المواضع استشهد ابْن كَثِيرٍ بالحديث الضعيف، ولم يُنبّه عليه مثل تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٠٣)، ذكر أنه القرآن، واستشهد بحديث الحارث الأعْوَر، عن عليٍّ مَرفوعًا في صفةِ القرآن: «هو حبلُ الله المتِين، وصراطه المستقيم»[١].

ومن الرابع: عند تفسير ابْن كَثِيرٍ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)، أورد ما رواه ابن ماجة عن أنسَ بن مالكٍ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حَرَسُ ليلةٍ في سبيلِ الله أفضلُ من صيامِ رجلٍ وقيَامِه في أهله ألفَ سنةٍ: السُّنَّة ثلاثمائة وستون يومًا، واليوم كألفِ سنةٍ»[٢]، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ أيضًا، وسعيدُ بن خالدٍ هذا ضعَّفه أبو زرْعَة وغير واحدٍ من الأئمة، وقال العقِيلي[٣]: لا يُتابع على حديثه، وقال ابن حبّان[٤]: لا يجوز الاحتجاج به، وقال الحاكم[٥]: روى عن أنسٍ أحاديث موضوعةً)[٦]،

وكان ابْن كَثِيرٍ يُنبّه على الأحاديث الموضوعة عند إيراده لها كما سبق في المثال السابق.

خاتمة البحث:

توصلت في هذا البحث إلى نتائج أُجْمِلها فيما يلي:

١- التفسير هو بيان معاني القرآن.

٢- أهمية الرجوع إلى السُّنة في تفسير القرآن.

٣- النبي ﷺ لم يفسر جميع آي القرآن، وذلك لأن من الآيات ما استأثر الله بعلمها، ومنها ما لا يُعذر أحدٌ بجهله.

٤- التفسير النبوي كلُّ قوْلٍ أو فعْلٍ أو تقْريرٍ صدر عن النبي ﷺ صريحًا في إرادة التفسير.

٥- القدر الوارد عن النبي ﷺ من التفسير النبوي المباشر قليلٌ جدًّا.

٦- الأصل في التفسير بالسنة غير المباشر أنه باجتهاد المفسِّر.

---

(١) سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، رقم (٢٩٠٦)، وقال: (هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهولٌ، وفي الحارث مقالٌ)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٨٩/٢).

(٢) سنن ابن ماجة: كتاب الجهاد، باب فضل الحرس والتكبير في سبيل الله، رقم (٢٧٧٠)، قال المنذري في الترغيب والترهيب (١٥٩/٢)، (رواه ابن ماجة ويشبه أنه يكون موضوعًا).

(٣) العقيلي الحافظ الإمام أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد بن صاعد، صاحب كتاب الضعفاء، كثير التصانيف، مُقدمٌ في الحفظ، عالمٌ بالحديث، ثقةٌ، توفي بمكة سنة (٣٢٢هـ)، يُنظر: طبقات الحفاظ للسيوطي، (٣٤٨)، والأعلام للزركلي، (٣١٩/٦).

(٤) ابن حبان الحافظ العلامة أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي البستي، صنَّف المسند الصحيح، والتاريخ، وله التفسير، والضعفاء وغيرها، توفي سنة (٣٥٤هـ)، يُنظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٣٧٦).

(٥) أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، من أكبر حفاظ الحديث، (المتوفى: ٤٠٥هـ)، صاحب المستدرك على الصحيحين، يُنظر: طبقات الحفاظ للسيوطي، (ص٤١٠)، والأعلام للزركلي، (٢٢٧/٦).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٢٠٠/٢).

٧- مصطلح (التفسير بالسنة) أعم وأشمل من مصطلح (التفسير النبوي)

٨- ما يستفيده المفسرون من السنة في تفاسيرهم لا يلزم منه أن يكون من باب التفسير، بل قد يكون زائد عن هذا الحد.

٩- من مميزات المنهج النبوي في بيان القرآن البيان بالقول والفعل والتقرير، وذلك لتوضيح مشكل، أو بيان مجمل، أو تخصيص عام، أو تقيد مطلق، أو بيان معنى لفظ، أو توضيح مبهم وغير ذلك.

١٠- عناية الحافظ ابن كثير بالسنة في تفسيره باعتبارها المصدر الثاني للتفسير.

١١- عناية الحافظ ابن كثير بدفع إيهام التعارض سواء كان بين آية وحديث، أو بين حديثين.

١٢- إذا كان التفسير تفسيرًا نبويًا مباشرًا فهو حجةٌ بلا خلافٍ.

١٣- إذا كان التفسير بالسُّنَّة غيْر مباشرٍ فأنه ينقسم من حيث الحُجّية إلى قسمين:

القسم الأول: ما يكاد يقع عليه الاتفاق من أن الحديث يفسر الآية، وهذا حجةٌ بلا خلافٍ

القسم الثاني: إذا كان الاستدلال بالحديث على بيان معنى الآية فيه خفاءٌ، ويقع فيه منازعةٌ بين العلماء، فهذا لا يلزم بحجّيته في تفسير القرآن.

١٤- استشهد ابن كثير بالأحاديث الضعيفة في تفسيره لبعض الآيات، وكان يشير إلى ضعفها إلا ما ندر، كذلك استشهد بالأحاديث الموضوعة وأشار إلى وضعها.

١٥- غالب ما ذكره ابن كثير من الأحاديث الضعيفة في تفسيره إنما هو في الفضائل والترغيب والترهيب ونحو ذلك.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير. دار طيبة للنشر والتوزيع: ط٢، (١٤٢٠هـ).

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. نور الدين الهيثمي. مكتبة القدس: القاهرة، (١٤١٤هـ).

صحيح مسلم. طبعة عيسى الحلبي: القاهرة، (١٣٧٤هـ).

صحيح البخاري. الطبعة السلطانية بالمطبعة الكبرى الأميرية: (١٣١١هـ).

السنة. للمروزي. مؤسسة الكتب الثقافية: بيروت، ط١، (١٤٠٨هـ).

الجامع لأحكام القرآن. للقرطبي. دار الكتب المصرية: ط٢، (١٣٨٤هـ).

سنن أبي داود السجستاني. دار الرسالة العالمية: ط١، (١٤٣٠هـ).

رسالة أبي داود لأهل مكة. دار العربية: بيروت.

المعجم الكبير للطبراني. مكتبة ابن تيمية: القاهرة، ط٢.

مسند الإمام أحمد بن حنبل. مؤسسة الرسالة: ط١، (١٤٢١هـ).

سنن الترمذي. مكتبة مصطفى البابي الحلبي: ط٢، (١٣٩٥هـ).

سنن ابن ماجه. دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي.

تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. مكتبة نزار مصطفى الباز: ط٣، (١٤١٩هـ).

الدر المنثور. للسيوطي. دار الفكر: بيروت.

كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما أشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس. للعجلوني. مكتبة القدسي: (١٣٥١هـ).

مجموع الفتاوى. لابن تيمية. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: (١٤٢٥هـ).

التحرير في أصول التفسير. مساعد الطيار. مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الشاطبي: ط١، (١٤٣٥هـ).

الرسالة. لمحمد إدريس الشافعي. مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، (١٣٥٧هـ).

الموافقات. للشاطبي. دار ابن عفان: ط١، (١٤١٧هـ).

مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة. لابن القيم الجوزية. اختصره ابن الموصلي، دار الحديث: القاهرة، ط١، (١٤٢٢هـ).

الأعلام. خيرالدين الزركلي. دار العلم للملايين: ط١٥، (٢٠٠٢م).

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. لابن حجر العسقلاني. المجلس دائرة المعارف العثمانية: صيد اباد الهند، ط٢، (١٣٩٢هـ).

طبقات الحفاظ. للسيوطي. دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، (١٤٠٣هـ).

البداية والنهاية. لابن كثير. صورتها: دار الفكر: بيروت، طبع: مطبعة السعادة: القاهرة.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب. لابن عماد الحنبلي. دار ابن كثير: دمشق، ط١، (١٤٠٦هـ).

طبقات الشافعية. لابن قاضي شهبة. دار عالم الكتب: بيروت، ط١، (١٤٠٧هـ).

هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. لإسماعيل باشا البغدادي. وكالة المعارف باستانبول: (١٩٥١).

المعجم المختص بالمحدثين. للذهبي. مكتبة الصديق: الطائف، ط١، (١٤٠٨هـ).

معجم البلدان. لياقوت الحموي. دار صادر: بيروت، ط٢، (١٩٩٥م).

الترغيب والترهيب من الحديث الشريف. للمنذري. دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، (١٤٠٧هـ).